الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

هذا هو دور الدين فى تنظيم علاقات المسلمين بعضهم ببعض داخل المجتمع الإسلامى ، وعلاقة المسلمين باخوتهم فى الإنسانية فى المجتمع الدولى سلما وحرباً ، فهو السلك الذى تنتظم فيه حبات العقد الإجتماعى .

دور العلم فى الحياة

أما العلم فهو الذى يصقل حبات العقد ويصونها ، والعلم يوفر للانسان حاجاته الحسية ومتطلباته المادية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ونحو ذلك ، كما أنه يصنع للناس طرق الاتصال سلماً وحرباً ووسائل السفر والانتقال وسلاح الحرب . والدين يجعل قلوب الناس تتصافى ونفوسهم تتآلف وأرواحهم تتعانق وأجسامهم تتلاقى وأيديهم تتصافح وتتبادل التحية والسلام وعقولهم تتجادل بالتى هى أحسن وتتفاهم وتتعارف كما قال الله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والعلم يصنع العملة الورقيـة والمعدنية التى يستعملها الناس فى التجارة والبيع والشراء . أما الدين فإنه يوجه الإنسان الوجهة السليمة الخيرة فى التصرف بالمال وانفاقه ، فيستخدمه بتوجيه الدين ورعايته فى الخير والإصلاح والإحياء والبناء والتعمير لا فى الشر والافساد والقتل والهدم والتخريب ، كما أنه يبعد عنه شر الطمع ومعرة كنز المال والشح به ويعلمه الاعتدال فى انفاقه فلا يكون مبذراً متلافاً ولا مقتراً شحيحاً عملا بقوله تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . وقال جـل شأنه : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال عز وجل : « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . وقال جل وعلا : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا » .

والدين يرشد الإنسان إلى أن المال الذى تحت يده إنمـا هو فى الحقيقة والواقع مال الله وهو وديعة عنده ولا بد يوماً أن ترد الوديعة إلى صاحبها الحقيقى كما قال الله تعالى : « أنفقوا مما جعلـكم مستخلفين فيـه » . وقال عز وجل : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وقد جعل الإسلام الحنيف زكاة المال من أركانه الخمسة لتطهير النفس البشرية من داء الشح بالمال والطمع فيه . وقة الإيمان الصادق

الشفاء من هذا الداء الوبيل الذى طالما فتك بالناس ودفع إلى ارتكاب الجرائم والشرور والمحرمات وما أصدق الشاعر الذى قال :

والناس عند الذهب اللماع شر من الحيات والسباع

والدين يجعل الإنسان يضحى بالمال فى سبيل الشرف والدين والعلم والحياة الحرة الكريمة ولا يبيع شرفه ودينه ووطنه بالمال والذهب وإذا ما حاول أحد أن يساومه على شرفه أو دينه أو وطنه أو حريته انتفض قائلا له :

أصون عرضى بمال لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال
احتال للمال إن أودى فأكسبه ولست للعرض إن أودى بمحتال

* * *

وبقوى العلم وطاقاته يستصلح الإنسان الأرض ويزرعها ويحصد غلة ما زرع من نبات ويجنى ثمار ما غرس من شجر ، والدين السماوى يستصلح نفس الإنسان ويزرع فيها بذور الخير والفضيلة. واصلاح النفس واستنبانها أصعب وأشق من إصلاح الأرض واستثمارها . ولا تطيب الحياة ولا تعمر الأرض إلا فى ظلال النفوس الطيبة الخيرة العامرة بمعانى الخير والحق والجمال والمشرقة بنور العلم والايمان .

وهكذا يكون العلم جسم الحياة الانسانية بلحمه وعظمه ودمه والدين روحها وضميرها وخلقها . والحياة بلا روح ولا ضمير ولا خلق تعنى الحيوانية والوحشية والهمجية .

ولم لا والانسان فى حقيقته وواقعه جسم وروح وعقل ، فلا يكون الانسان بالروح وحدها ولا بالجسم وحده بل بالاثنين معاً . والبدن وعاء الروح ، وكما أن السائل ينصب على الأرض إذا انكسر وعاؤه وتحطم كذلك تخرج الروح من البدن إذا تحطم وتهشم ، ولكنها تخرج إلى السماء لا إلى الأرض . والروح تحرك الجسم وتسيره والعقل يوجهه ، وإذا علت الروح وسما العقل علا الجسم معهما وسما ، وإن سقطا وانحطا سقط وانحط .

وللجسم والروح والعقل مطالب وحاجات ، فالجسم يحتاج إلى أكل وشرب ولبس وسكن وعلاج ودواء ووسائل سفر ومواصلات وأدوات تهذيب وتجميل وتنظيف وما إلى ذلك من حاجات الحياة ومتطلباتها المادية المعيشية .

والنفس أيضاً تحتاج إلى تغذية وتهذيب وتنظيف ولباس وتجميل وتزيين بالفن الرفيع والأدب السامى ومكارم الأخلاق وتقوى الله . كما أن العقل يلزمه صقل وتثقيف وهداية وتنوير بالعلم النافع والحكمة الهادية والفكر المضىء .

والعلم وحده بشتى فروعه وألوانه يوفر للجسم جميع مطالبه وحاجاته المعيشية المادية الضرورية منها والكمالية . وتجد الروح حاجاتها المتنوعة فى الأديان السماوية النقية وسائر ألوان الفنون والآداب والثقافة الإنسانية الرفيعة السامية .

فالأديان السماوية الصافية والثقافة الإنسانية البناءة تصل الإنسان بالله تعالى خالقه وتعمر قلبه بالإيمان به ، وتبعث فيه ضميره الحى ونزعته الإنسانية وتغرس فى نفسه الخير والفضيلة ، وتطهر صدره من نوازع الشر والأذى والرذيلة وتعلمه مكارم الأخلاق ، ولا شىء يجعل سلوك المرء مستقيما طيباً وأخلاقه كريمة وأعماله صالحة خيرة كالإيمان بالله وتقوى الله تعالى . والانسان الذى يؤمن بالله ويتقيه لا يقول ولا يفعل إلا خيراً ولا يأخذ ولا يعطى إلا طيباً ، ويستخدم ما تحت يده من قوى العلم وطاقاته فى الخير والاصلاح والتعمير والبناء بدلا من استعمالها فى الشر والفساد والهدم والتخريب .

أما الشخص الذى لا يعرف الله ولا يتقيه ولا يتحلى بالقيم الأخلاقية والمبادىء الانسانية فتراه لا يسمو على الحيوان فى أفعاله وتصرفاته ولا يحلل ولا يحرم ولا يتورع عن اقتراف المحرمات والمنكرات ويستعمل ما فى حوزته من قوى العلم وطاقاته فى القتل والشر والهدم بدلا من استعمالها فى الاحياء والشر والهدم والحياة

لا تصير جميلة طيبة ولا تكون صافية آمنة إلا بالمؤمنين الأبرار ولا يعكر صفوها ولا يحرم الناس من نعمة الأمن والسلام إلا الذين لا يعرفون الله ولا يتقونه . والحياة بلا إيمان بالله وبلا أخلاق وآداب وبلا مبادىء إنسانية تصير جحيما لا يطاق . ويدل على ذلك ما عاناه العالم فى الماضى ويعانيه فى الحاضر من ويلات الحروب العدوانية الاستعمارية ومن مآس وجرائم ومظالم على أيدى ناس لم يعرفوا الله ولم يتقوه ، وتنكروا لمبادىء الحق والعدل والإنسانية والقيم الأخلاقية . والعالم اليوم يؤرقه ويقض مضجعه شبح حرب ذرية هيدروجينية تحمل فى بطنها نهاية العالم وانتحار الجنس البشرى ، وإذا ما قدر لها أن تقع فلن يثيرها إلا المستعمرون الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بالفضائل الإنسانية والأخلاق الكريمة ومبادىء الحق والعدل . وواضح أن الأديان السماوية الحقة والعلوم الإنسانية هى المصدر الوحيد المتجدد للإيمان بالله والفضائل والأخلاق والآداب ، والعلم يعالج الأجسام المريضة العليلة ويداويها بينما الدين يعالج النفوس العليلة ويشفيها مما يصيبها من أمراض وعقد نفسية وقلق واضطراب واهتزاز إزاء أحداث الزمان ونوائب الدهر وصدمات الحياة ويضفى عليها جواً مشبعاً بالراحة النفسية والصفاء الذهنى والسكينة القلبية ويضىء جنباتها بنور الأمل والتفاؤل كما قال الله تعالى :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة » .

فالمؤمن بالله حقاً يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ويواجه الحياة بخيرها وشرها وحلوها ومرها راضى النفس مرتاح البال رابط الجأش والنهى فهو معتصم بقوله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . وإذا ما أصيب بخسارة أو ضاعت منه فرصة ثمينة لم يتداوله القلق والندم لأنه متحصن بقوله عز وجل : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » وبقوله جل شأنه : « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . وقوله عليه الصلاة والسلام : استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

والعلم يحارب الآفات والأوبئة والأمراض التى تصيب الإنسان والحيوان والنبات ولكن الدين يحارب الأمراض الخلقية والنفسية والآفات الاجتماعية ، وكثير من الأمراض الجسمية من مضاعفات الأمراض النفسية والخلقية .

والعلم يصنع المواد التى ينظف بها الجسم والملبس والمأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ، والدين يتولى تنظيف العقول والقلوب وطهارة النفوس من خواطر السوء ونوازع الشر مع العلم

بأن طهارة الشكل والمظهر من طهارة الروح والجوهر ونظافة اليد من نظافة العقل والنفس .

والعلم يقدم للناس المسجد ومكبر الصوت أما الدين فإنه يقدم لهم الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والحكمة السامية المضيئة والخطبة البليغة الهادية . والعلم يصنع سلاح الحديد والفولاذ وينعش الجسم وينشطه أما الدين فإنه يزود المجاهد بسلاح العقيدة والإيمان وينعش النفس وينشط الروح ، وسلاح الحديد لا يصير فعالا مدمرا ما لم تحارب به أيدى مؤمنة . وقوة الجسم وحيويته من قوة الروح وحيويتها ، والرجال أولا والسلاح ثانياً . وما أصدق شاعرنا بشارة الخورى فى قوله هذا :

قوة الروح والعقيدة جيش من لهيب وقائد من صواب
حقرت قوة الجسوم وأزرت بالسرايا وعسكرت فى الروابى

والعلم يصنع سياج الأبدان والأجسام والدين يقدم سياج النفوس والأرواح ولا يحمى الإنسان سياج جسمه إذا سقط سياج نفسه وروحه ، وسياج الجسم من الحديد أو القماش وسياج النفس والروح من الأخلاق والآداب ، وسياج النفس والروح خير وأبقى من سياج الجسم كما قال شاعرنا بشارة الخورى :

كم سياج من الحديد تعنى وسياج باق من الآداب

والدين يشرب الإنسان مبادىء الحق والعدل والأخاء والمساواة والحرية والأخوة الإنسانية فقد قال الله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وقال رسول الله محمد ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » .

والدين يزن الناس بميزان العلم والإيمان والتقوى والأخلاق وفعل الخير كما قال الله تعالى : «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : « خير الناس أنفعهم للناس » .

والدين يقيم تعادلا وتوازناً بين الروح والمادة لأن الإنسان لا يمكنه أن يعيش بالروح وحدها ولا بالمادة وحدها بل بهما معاً كما أنه يعيش بالماء والطعام ولا يعيش بواحد منهما ، والويل له من طغيان المادة على حياته وسلوكه . ففي التوازن والتعادل بين القيم الروحية والمادية أمنه وسلامه وسعادته وحياته الحرة الكريمة .

والدين يجعل الإنسان يحسن استخدام العلم بقواه وطاقاته الجبارة الهائلة لأن العلم سلاح ذو حدين فإن تولاه طيبون صالحون أبرار أحسنوا استعماله ونفعوا به الناس وإن تولاه أشرار لئام أساءوا استخدامه واستعملوه فى الشر والتدمير والحرب بدلا من استعماله فى الخير والتعمير والسلام .

والدين يحث على طلب العلم والعلم يدل على الدين ، ولا تتجلى حقيقة الدين إلا فى ضوء العلم كما أن العلم لا يثمر ثمارا طيبة حلوة ما لم ينبت فى أرض الإيمان والتقوى .

قال تعالى : «اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » وقال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « تعلموا العلم فبه يعرف الحلال من الحرام . وهو الدليل على الدين » .

* * *

وخرى ما تقدم أن الحياة الإنسانية شطران متكاملان روحى ومادى وأن الإنسان جسم وعقل وروح ، والإنسان تحركه روحه وتسيره على ضوء عقله وتفكيره . وهنا يتعاون الدين والعلم فى صنع الحياة الإنسانية الطيبة وبناء الإنسان الخير الطيب المثمر الذى يبنى ويعمر ويثمر ويضىء ويتمتع بالصحة والعافية والحيوية جسما ونفسا وعقلا .

والدين يتولى تهذيب النفس وتجميلها وإلباسها لباس التقوى

والحق والخير والجمال وإشرابها مكارم الأخلاق والآداب العالية والفضائل السامية والسمو بالروح فوق أوحال الغرائز الحيوانية ومستنقعات الشهوات البهيمية والأهواء النفسية كما أنه يشفى النفس من أمراضها النفسية من حسد ولؤم وجشع وأنانية وغرور وبطر وغطرسة ونزعة عدوانية ويأس وخمول وانحطاط وما إلى ذلك . ويعمل كذلك على إحاطتها بجو هادىء نقى لا تعكره ولا تشوبه توترات عصبية وتشنجات انفعالية ، وما أكثر الأمراض الجسمية التى تتولد عن الأمراض النفسية .

والدين يحفز أيضا إلى الكشف عما يكمن فى الإنسان من مواهب وعبقريات ونبوغ فى العلم والأدب والفن والفكر ويحث على استثمارها فى الخير والحق للبشر جميعاً وينير العقول بأنوار الحكمة والعلم والإيمان ويوجهها إلى التأمل والتفكر والإبداع والابتكار لتدرك كنه الحياة وتعرف سر الوجود وحقيقة الإنسان وتهتدى إلى طريق الخير والحق والسعادة ولتستخدم قوى العلم وطاقاته الجبارة ومخترعاته العجيبة فى الخير والبناء والسلم لا فى الشر والهدم والحرب. فالنار نافعة وضارة فهى تنفع إذا أحسن استخدامها وتضر وتحرق إذا أسىء استعمالها . والماء كذلك يحيى إذا استعمل فى الشرب والسقى ويميت إذا استعمل فى الإغراق والإتلاف . والطاقة الذرية تصلح للسلم والخير والحياة إذا استغلت

فى هذا المجال وتدمر وتبيد إذا استعملت فى الحرب والموت .

ولم لا نقول إن الإنسان نفسه يصير خيراً مثمراً إذا تربى تربية إنسانية فاضلة وأعد إعداداً حسناً ويصير شريراً مؤذياً إذا أسىء تربيته وإعداده .

ولا شك فى أن الدين السماوى الحق يربى الإنسان تربية إنسانية كريمة ويضعه فى طريق الخير والحق والجمال ويجعله يستخدم قوى العلم وطاقاته الهائلة فى الخير والعمران والحياة بدلا من استعمالها فى الأمر والتخريب والموت .

والدين كذلك لم يغفل أمر الجسم فقد دعا إلى نظافته وزينته وجماله فالنظافة تجلب الصحة والعافية والقذارة تلد المرض والسقام، وفى الزينة والجمال متعة للبصر والبصيرة وراحة نفسية وجاذبية وفى ذلك قال رسول الله محمد ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » . وقال أيضاً : «إن الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكم وأفنيتكم» . ويقول الله تعالى : «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ». ويقول عز وجل : «يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

ودعا رسول الله عليه السلام إلى معالجة الأجسام من أمراضها فقال : « أيها الناس تداووا . إن الله ما وضع داء إلا جعل له شفاء » .

ولا ريب فى أن النفس تتأثر بنظافة الجسم وجماله وصحته وعافيته كما أن الجسم يتأثر بجمال النفس وطهارتها وصحتها وحيويتها .

أما العلم فإنه يتولى رعاية الجسم ومداواته من أمراضه وتوفير ما يحتاج إليه من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب وسائر حاجاته المعيشية ويوفر أيضاً ما يلزم من مواد الزينة والتجميل والتنظيف للأكل والشرب واللباس والسكن . وهكذا يعالج العلم جسم الإنسان ويعالج الدين نفسه وروحه فالدين طب نفسى وعلم نفس .

والعلم يقدم للإنسان القوانين والأنظمة الوضعية والدين يقدم له قوانين الحياة الطبيعية ألا وهى الأخلاق السامية والآداب العالية ومن لا يحترم القوانين الطبيعية ولا يتحلى بمكارم الأخلاق لا يحترم القوانين الوضعية والأنظمة البشرية ، فذو الخلق الكريم والذوق الرفيع ينهاه خلقه وذوقه عن الشر والأذى وعن الخروج عن طريق القانون والنظام سراً واعلانا . أما الشخص الذى ينقصه الخلق والضمير فلا يسير فى طريق القانون والنظام إلا وعيون الرقابة والعقوبة مفتحة عليه وعصا السلطة فوق رأسه وشتان بين الإثنين .

والدين يبعث فى نفس الإنسان الضمير الحى ويملأ قلبه بتقوى الله وينير عقله بنور الإيمان وبذلك يعلو الحق ويسود وينتصب

ميزان العدل ويزدهر الخير ويضمحل الشر . فتقوى الله توحى للقاضى بالعدل والإنصاف فى أحكامه وقراراته فإذا ما خلا من تقوى الله وافتقد الضمير الحى تلاعب بالقانون وفق الهوى والمصلحة الذاتية وحاد عن طريق الحق والإنصاف ، وليس أدل على ذلك من تعطيل قوانين الأمم المتحدة وتجميد قراراتها التى تنص على حق الإنسان فى الحياة الحرة الكريمة ، لأن المسيطرين على الهيئة الدولية من الدول الكبرى القوية لا يعرفون إلى الإيمان وتقوى الله سبيلا وتسيرهم المطامع الدنيوية والمصالح الشخصية والنزعات الأنانية ، هذا وإصدار القوانين العادلة والقرارات المنصفة مصدره أولو الألباب الحكيمة والضمائر الحية والإيمان الصادق ، على أن القوانين المنصفة لا ترى النور ولا تؤتى أكلها إلا بشخصيات واعية مستنيرة ومؤمنة نزيهة ، وكم من قوانين تعطل ودساتير تجمد وتحرف ويتلاعب بها وفق الهوى والغرض لافتقارها إلى مسئولين يعرفون الله ويتقونه .

وهكذا الإسلام الحنيف يطهر الإنسان من أدران الفساد والانحراف ويغسل دماغه ونفسه وقلبه بماء الإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق فيخرج إنساناً صالحاً فاضلا مثمراً يعرف نفسه وربه وينصف ذاته وغيره ولا يقول ولا يفعل إلا خيراً ولا يأخذ ولا يعطى إلا طيباً كما قال رسول الله محمد ﷺ : «المؤمن كالنحلة لا يأخذ إلا طيبا ولا يعطى إلا طيبا» .

فى ميدان التجارة يقدم العلم للناس لوازم المعيشة ومتطلباتها المتنوعة . وهنا يتدخل الدين لتنظيم المعاملات التجارية بين الناس ووضع قواعد أخلاقية وأصول سليمة للبيع والشراء تقوم على الصدق والأمانة والسماحة والنصح والتجرد من الجشع والاستغلال والاحتكار . فالله سبحانه وتعالى يتوعد الذين ينقصون الكيل والميزان والقياس بقوله : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

والإسلام الحنيف يبرأ من المسلم الذى يغش فى تعامله مع الناس كما قال رسول الله محمد ﷺ : « من غشنا فليس منا » ، ويحث الرسول عليه الصلاة والسلام على السماحة فى البيع والشراء فيقول : « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » والمحتكر المستغل ملعون فى الإسلام كما يقول الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه : « المحتكر ملعون» وقال أيضاً : « بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح » .

وينهى كذلك رسول الله عن التناجش فى البيع والشراء فيقول : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا » .

والمعاملة الطيبة الحسنة روح الإسلام والإيمان كما يقول رسول الله محمد ﷺ : « الدين المعاملة » .

* * *

وبزراعة النبات وغرس الشجر تخضر الأرض وتزدان الدنيا ويلطف الجو ويأكل الإنسان والحيوان والطير ، وعلى النبات والشجر تقوم صناعة الملابس والخشب . والدين يحث الإنسان على الزرع والغرس ويعده بالثواب الجزيل إذا فعل ذلك كما يقول رسول الله محمد ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

كما أن الإسلام ينهى الانسان عن إتلاف الزرع وإحراق الشجر واحتكار الثمر . أما العلم فإنه يقدم للانسان آلات الزراعة والغرس والحصاد وجنى الثمر والأدوية التى يقاوم بها الآفات والأمراض التى تصيب الشجر والنبات ، والمصانع التى يصنع بها المنتجات الزراعية .

والإسلام الحنيف يجعل الناس جميعاً يتقاسمون فيما بينهم الثروات العامة وخيرات الوطن كل بقدر جهده وطاقته وخدمته ، ويحرم أن تستأثر بها فئة قليلة معينة وحدها دون سائر الناس انطلاقاً من قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وفى ذلك يقول

رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « الناس شركاء فى ثلاثة : « الماء والكلأ والركاز » . أما العلم فإنه يقدم الآلات والأدوات والأجهزة التى تستخرج بها هذه الثروات والخيرات الباطنية والظاهرية ووسائل نقلها وحملها .

والعلم يكتشف ما فى الكون من قوى وطاقات كالكهرباء والبخار والذرة ، والدين يدعو إلى استغلالها فى ميدان الخير والبناء والسلم لا فى مجال الشر والهدم والحرب . والدين يوجه السلاح الذى يصنعه العلم إلى أغراض الدفاع عن النفس ورد العدوان وإحقاق الحق وإقامة العدل وبناء السلم القائم على العدل والحق .

والدين يبث فى نفوس البشر جميعاً روح التعارف والتفاهم والتسامح والتآخى والتعايش السلمى كما قال الله تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وبذلك تنهدم الحواجز النفسية والعنصرية والطبقية بين البشر جميعاً .

كما أنه يضع للناس المقياس السماوى السليم للتفاضل بين الناس فى الدنيا والآخرة ألا وهو العلم والإيمان والتقوى والخلق الكريم :

قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال جل شأنه : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وقال عز وجل : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال رسول الله محمد ﷺ : « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً » .

والعلم يقيم للعمال المعامل والمشاغل التى يعملون فيهـــا . أما الدين فإنه يحث العمال على إتقان العمل والإخلاص فى الشغل كما قال رسول الله محمد ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » كما يحث أرباب العمل على إعطاء العمال أجوراً مجزية إذ يقول ﷺ : «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه» .

والعلم يضع شكل الحكم وهيكل الدولة المتمثل فى الأنظمة والقوانين والتشريعات ، أما الدين فإنه الروح والجوهر والضمير والخلق ولا حياة للجسم إلا بالروح ولا قيمة للمظهر إلا بالجوهر .

وروح الدولة حرية القول والعمل والديمقراطية والشورى والعدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص وازدهار مكارم الأخلاق والفضائل السامية من صدق وأمانة ونزاهة وإخلاص وتضحية وإيثار ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة وما إلى ذلك .

وقد علمتنا الحياة أن التقدم الأخلاقى هو المنطلق إلى التقدم فى

نواحى الحياة الأخرى ، والرقى الأدبى أساس الرقى العلمى وأنه لا طعم للحياة ولا معنى للوجود ولا حياة حرة كريمة ولا عدل ولا أمن ولا سلام ولا سعادة إلا بازدهار الفضائل والأخلاق التى هى جوهر رسالة الأديان السماوية كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقد أدرك هذه الحكمة أحمد شوقى فقال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضاً :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلافهم كانت خرابا

* * *

والثواب المجزى فى الدنيا والآخرة يغرى بالصدق والإخلاص فى السعى وإتقان العمل وبذل قصارى الجهد والطاقة فى الانتاج والبناء ، لذلك وعد الله تعالى المؤمنين العاملين المنتجين بأجزل الأجر والثواب على إخلاصهم فى سعيهم وإتقانهم أعمالهم إذ قال جل شأنه : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .

وفى العقاب والقصاص سيادة الحق والعدل وازدهار الأمن

والسلام وتقويم الانحراف وتصحيح الاعوجاج وتوخى الصحة والعافية والسلامة للفرد والمجتمع كما قال الله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

وهكذا يأمر الدين بالثواب المرضى والعقاب الرادع لتظل الشجرة مورقة مثمرة والبناء سليما متينا والجسم صحيحاً معافى . فالقصاص للمجتمع كتقليم الشجر وترميم البناء وصيانته وكالعلاج والوقاية للجسم .

أما دور العلم فى الثواب والعقاب فإنه يقدم المكافآت المادية الحسية التى تعطى للعاملين المخلصين كما يقدم الوسائل والأدوات التى ينفذ بها العقاب .

* * *

والناظر فى الاسلام الحنيف دين الله تعالى والدين الذى يجب على كل إنسان أن يعتنقه كما قال عز وجل : «ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » يتبين له أنه دين يصلح لكل زمان ومكان ويناسب البشر جميعاً لذلك أنزله الله تعالى للناس كافة فى كل عصر وبيئة كما قال تبارك وتعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهو دين يقوم على العقل والمنطق والعلم كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « المعرفة رأسمالى والعقل أصل دينى » ويخاطب الوجدان والضمير ويجمع بين الروح والمادة ويماشى الزمان ويرعى ركب الحياة المتطور المتجدد على توالى السنين ومر العصور . ويدل على ذلك احتكامه إلى العقل والمنطق وفتحه باب الاجتهاد والتجديد والابتكار فى أمور الحياة الدنيا وفيما يتعلق بأساليب الحياة ووسائلها وأدواتها وفيما يمس متطلبات العيش والأشياء المادية وفيما يستجد من أشياء وظواهر حياتية فهذه الأمور والأشياء تتناولها يد التطور والتغيير . والاسلام يضع خطوطاً أساسية وقواعد عامة لحياة الانسان ومسلكه . أما التفصيلات والتفرعات فهى التى يتناولها العلم بالتطور والتجديد كما تنال مظاهر الحياة وأشكالها ووسائلها وأدواتها . أما الروح والجوهر فلا يمسها تغيير ولا تبديل .

وكذلك أمور الدين من عبادات وتشريعات وقواعد فى العقوبات والمعاملات والميراث والزواج تبقى خالدة كما جاءت من عند الله تعالى فهى صالحة بنصها وروحها وبلفظها ومعناها لكل زمان ومكان .

ومن أمور الدنيا التى يعنيها حديث الرسول الكريم طرق

المعيشة والأوضاع الاقتصادية والمعاملات التجارية . فالإسلام الحنيف يرسم صورة لنظام اقتصادى لا جشع فيه ولا استغلال ولا احتكار ويخلو من الكسب الحرام كالرشوة والربا والسرقة والنهب ، ولا تستأثر فيه فئة قليلة بمعظم ثروات الوطن وخيراته وأراضيه على الأغلبية الساحقة من الشعب ، ولا تكون فيه جماعة معينة تعيش فى القصور والأبراج العاجية تنفخها البطنة والتخمة وأكثر الناس يسكنون الأكواخ والخيام وينامون فى المقابر يلفحهم حر الصيف ويقرصهم برد الشتاء ويتضورون جوعاً وعطشاً .

فالمسلمون المؤمنون إخوة يتراحمون ويتقاسمون لقمة العيش وخيرات الوطن وثرواته . فالوطن شركة اجتماعية والمواطنون أعضاء مساهمون فيها كل بقدر جهده وطاقته وخدمته لأمته ووطنه والمجتمع أسرة واحدة كبرى والمواطنون أفرادها . وفى ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ويحرم الإسلام الحنيف الاحتكار لما يتضمنه من استغلال وحرمان وكسب محرم ، قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام :

« المحتكر ملعون » كما أنه يحظر تكديس الأموال والثروات فى أيدى الأغنياء الرأسماليين كما قال الله تعالى : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وحرم الإسلام الحنيف الربا والسرقة والرشوة ، لأنها استغلال وعدوان وكسب غير مشروع ، قال الله تعالى : « أحل الله البيع وحرم الربا » وقال جل شأنه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الراشى والمرتشى » .

والإسلام الحنيف يريد نظاماً اجتماعياً يقوم على العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والمساواة والاخاء والتكافل الاجتماعى ، يتفاخر فيه الناس بأعمالهم وأخلاقهم وعقولهم لا بأحسابهم وأنسابهم ولا بأموالهم وأشكالهم ومقياس التفاضل فيه العلم والتقوى ومكارم الأخلاق وليس المال والجاه والحسب كما يقول الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله عز وجل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وكما يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . ويقول الله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » . ويقصد بالأعمى هنا أعمى العقل والبصيرة لا أعمى البصر والنظر .

والإسلام الحنيف يبين لنا روح الحكم الشعبي الصالح والسياسة الرشيدة الخيرة وقوامها الشورى وحرية الكلمة والحركة والمساواة وتكافؤ الفرص وأن يقوم نظام الحكم على رغبة الشعب وإرادته ويسير بأمر الشعب ومشيئته ، وأن لا يكون هناك احتكار لرئاسة الدولة وقمة السلطة والمسئولية فلا تكون وقفاً على فئة معينة بل يكون طريق الوصول إليها مفتوحاً لكل مواطن صالح كفء عقلا وعلماً وخلقاً وديناً . فالحكم مصلحة عامة وملك عام للشعب كله والدولة شركة اجتماعية والمواطنون أعضاء مساهمون فيها كل بقدر كفاءته العلمية والخلقية وحبه للوطن وخدمته له .

وروح السياسة الحكيمة الخيرة العدل والحق والصدق والأمانة وخدمة الأمة وبناء الوطن ورعاية مصالح الناس باخلاص ونزاهة وشعور بالمسئولية كما قال رسول الله محمد ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته» . والإسلام يرعى مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ويوازن بينهما فإذا تعارضت المصلحتان فأولوية المرور والأفضلية لمصلحة الجماعة لأن سلامة المواطن من سلامة الوطن وحياة المصلحة الخاصة من حياة المصلحة العامة كما أن الفرع يستمد وجوده من الأصل والجزء من الكل والغصن من أمه الشجرة .

وهكذا نرى أنه لا تغيير ولا تبديل فى جوهر الحكم وروح السياسة فالتغيير يمس دائماً المظهر والشكل والزى تمشياً مع الزمن فى تجدده وتطوره .

* * *

والاسلام الحنيف يأمرنا بإعداد السلاح اللازم لردع أعداء الحياة الحرة الكريمة والدفاع عن النفس وصون الحمى وإحقاق الحق وإقامة العدل كما قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . أما نوع السلاح فإنه يتمشى مع ظروف الحياة ومنطق العصر . ولكن السلاح الروحى المعنوى الذى هو نصف المعركة والذى يزود به الاسلام جنده ويتمثل فى الايمان والعقيدة والحق وروح التضحية والفداء فباق خالد لا يتغير ولا يتبدل مع تغير الظروف والأحوال .

وهناك أمور وظواهر دنيوية مستجدة مستحدثة كحركة المرور والسير والمواصلات وإدارة الجمارك والبلديات والمطبوعات وسواها . فهذه ظواهر حياتية مستحدثة تتطلب اجتهاداً واعياً مستنيراً وتنظيما سليما دقيقاً وسن قوانين عادلة . وهنا الدين يسقيها بالحق والعدل والاتقان والاحكام لتزكو وتثمر ثماراً طيبة وتعطى كل ذى حق حقه .

وهكذا نرى الاسلام الحنيف يضع إطاراً عاماً وقواعد صالحة وأسساً سليمة وخطوطاً عامة خالدة ونقاطا رئيسية للنظم والقوانين والتشريعات وينفخ فيها من روحه السامية العادلة ويغرس ضميراً حياً نبيلا. أما الخطوط الفرعية والتفصيلات والأساليب والطرق والأدوات والوسائل والصور والألوان فتخضع لمنطق العصر وتطور الحياة وتبدل الظروف والأحوال.

ومنبع الحق والعدل الإيمان بالله وتقوى الله والضمير الحى. ولا شيء يجعل الانسان طيباً خيراً مثمراً عادلا كتقوى الله تعالى، والمبادىء الانسانية والقوانين العادلة تبقى حبراً على ورق ولا تؤتى أكلها ولا تزدهر إلا بشخصيات تتحلى بعقول مستنيرة وضمائر حية وتقوى الله.

وخلاصة القول أن الدين والعلم يتكاملان ويتعاونان فى صنع الحياة الانسانية الطيبة الكريمة وبناء الانسان الفاضل المثمر كما تتكامل الروح والجسم فى وجود الانسان المادى. فالدين روح الحياة الانسانية وضميرها وخلقها والعلم جسمها ومادتها.